المحاضرة الرابعة:

موضوع علم الاجتماع

تتجلى الظواهر الاجتماعية في بدايتها من خلال التفاعل بين شخصين أو أكثر، حيث يدخلون في علاقات اجتماعية. ومع مرور الوقت واستمرار تلك العلاقات، تتشكل جماعات اجتماعية، وتعتبر هذه الجماعات الاجتماعية موضوعًا أساسيًا يُدرس في إطار علم الاجتماع.

كما يُدرس علم الاجتماع، يُسلط الضوء على العمليات الاجتماعية مثل الصراع والتعاون والتنافس والتوافق، فضلاً عن الترتيب الطبقي والحراك الاجتماعي. كما يشمل اهتمامه مفهوم الثقافة، الذي يُعرف بأنه "الكل الذي يتألف من قوالب التفكير والعمل في مجتمع محدد". يركز علم الاجتماع على فهم التغير في الثقافة والبنية الاجتماعية، بالإضافة إلى دراسة النظم الاجتماعية، أي الأساليب المقررة للسلوك الاجتماعي.

تُشدد الأبحاث في علم الاجتماع على الشخصية كعامل يشكل الثقافة ويتأثر بها، وتُعتبر الشخصية محورًا رئيسيًا في مؤلفات هذا العلم. يتناول علم الاجتماع أيضًا اهتمامات علماء الاجتماع البارزين، حيث يتناولون المواضيع الأساسية مثل الثقافة والمجتمع، ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية. كما يركزون على الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية، مثل الأفعال والعلاقات الاجتماعية، ويستكشفون شخصية الفرد وعلاقته بالجماعات والمجتمعات المحلية، سواء الحضرية أو الريفية.

تُشمل مجالات الاهتمام أيضًا المؤسسات الاجتماعية الأساسية مثل الأسرة والاقتصاد والسياسة والقانون والدين والتعليم والرعاية. كما يتناولون المؤسسات التعبيرية والجمالية في السياق الاجتماعي.

العمليات الاجتماعية الأساسية تشمل عدة جوانب منها: التمايز والطبقات، التعاون والتلاؤم والتماثل، الاتصال، الصراع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، والانحراف مثل الجريمة والانتحار. يعمل علم الاجتماع، جنبًا إلى جنب مع باقي العلوم الاجتماعية مثل الاقتصاد وعلم السياسة والأنثروبولوجيا وعلم النفس، على دراسة وبحث موضوع واحد مشترك، وهو المجتمع والإنسان. ومع ذلك، يتميز علم الاجتماع بطريقة فريدة في معالجة هذا الموضوع، إذ يستفيد من تجارب كل العلوم الاجتماعية بهدف بناء تصوّر شامل ورؤية شمولية حيال ما يتم دراسته.

فالباحث في علم الاقتصاد يدرس الاقتصاد (جزء) في المجتمع (الكل)، والباحث في علم السياسة يدرس السياسة (الجزء) في المجتمع (الكل)، الأنثروبولوجي يدرس الثقافة (الجزء) في المجتمع (الكل)، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية تدرس أجزاء معينة (شخصية الإنسان، التربية والمدرسة، الأحداث والوقائع

الماضية) من الكل الذي هو المجتمع والحياة الاجتماعية، أما الباحث في علم الاجتماع- على خلاف البقية- موضوع دراسته هو الكل أي المجتمع. إذن فمجال الدراسة لديه يشمل: الاقتصادي والسياسي والثقافي والنفسي والتربوي والتاريخي...الخ، أي يشمل كل ما يحدث في المجتمع.

علم الاجتماع يمثل مشروعًا معرفيًا ذا تعقيد شديد، إذ يركز على دراسة سلوكياتنا وأفعالنا ككائنات اجتماعية. يتسم المجال القابل للدراسة في هذا العلم بالتنوع والاتساع، حيث يمتد من التفاصيل الدقيقة لحياتنا اليومية، مثل الحوارات واللقاءات العابرة بين الأفراد، إلى دراسة الآليات الاجتماعية على مستوى عالمي، مثل ظاهرة العولمة وحوار الثقافات.

يعتبر علم الاجتماع أكثر من مجرد تحليل للتفاعلات الاجتماعية اليومية، إذ يتوسع ليشمل فهم تأثير العوامل العالمية على التفاعلات الاجتماعية المحلية. فهو ينظر إلى تفاعلاتنا اليومية كجزء لا يتجزأ من نظام أوسع يتأثر بالتطورات الاجتماعية الكبرى والتغيرات الثقافية.

إن معطيات حياتنا اليومية في المجتمع تتأثر تأثرا كبيرا بوقائع اقتصادية سياسية ثقافية نفسية وتاريخية، لذا فإن فهم هذه المعطيات الحياتية الخاصة بكل من الأفراد والجماعات، لا بد وأن يمر عبر فهم وتحليل للسياقات الكبرى (الاقتصادية، التاريخية، السياسية، الثقافية، الدينية....) التي تحدث داخل المجتمع وهذا هو جوهر الدراسة السوسيولوجية.

اتجاهات وزوايا الظاهرة المدروسة، إن التفكير السوسيولوجي في جانب كبير منه يعتمد على " الخيال السوسيولوجي"

الخيال السوسيولوجي يتطلب أولًا وقبل كل شيء أن ننفصل عن الروتين اليومي، لنكون قادرين على إلقاء نظرة جديدة ومتفتحة على الأمور الاعتيادية. لنفهم هذا المفهوم، دعونا نلقي نظرة على مثال غير المألوف، مثل رؤية شخص يعبر الشارع.

في ظاهرها، تبدو هذه الحادثة عادية وغير ملفتة. ولكن من منظور علم الاجتماع، يمكن أن نفتح أبواب التفكير الاجتماعي حيال هذا الحدث اليومي. ماذا يعبر عنه هذا الفرد الذي يعبر الشارع؟ هل هو نتاج لظروف اجتماعية معينة؟ هل تؤثر تفاصيل مثل ملابسه أو طريقة سيره على كيفية تفاعل الناس معه؟ يمكن للخيال السوسيولوجي أن يحوّل الأمور اليومية إلى نوافذ لاستكشاف تفاعلات اجتماعية أعمق وفهم أفضل للعوامل التي تتداخل في تشكيل سلوك الأفراد.

مثال اخر يُمكن القول إن الفطور ليس مجرد وجبة يومية، بل له قيمة رمزية كبيرة باعتباره جزءًا من أنشطتنا الاجتماعية اليومية. فالتجمع حول طاولة الإفطار يمثل لحظة مميزة في اليوم، حيث يتم تبادل

الأحاديث والتواصل بين الأفراد. إن فطورنا اليومي يُعتبر لحظة استثنائية في روتيننا، فالفطور ليس مجرد تناول طعام، بل هو مناسبة اجتماعية تُعزز التواصل وتعزز الروابط الاجتماعية.

مثال اخر: تعتبر المشروبات الطاقية نوعًا من المنبهات، حيث تحتوي على مكونات نشطة مثل الكافيين والتورين، التي تعمل على تنشيط الجهاز العصبي. لذلك، يجد العديد من الأفراد أنفسهم يلجؤون إلى استهلاك المشروبات الطاقية بهدف الحصول على جرعة يومية من هذه المنبهات. وبمرور الوقت، يتعود الجسم على هذا التناول، مما قد يؤدي في بعض الحالات إلى التعود والإدمان.

على الرغم من أن محبي المشروبات الطاقية قد يعتبرون أنفسهم مجرد محبين للطعم أو بحاجة إلى زيادة في النشاط، يظهر هنا انفصالًا اجتماعيًا مثيرًا للاهتمام. ففي بعض المجتمعات الغربية، يُنظر إلى الاعتماد على المشروبات الطاقية بصورة أكثر تسامحًا من اعتماد الأفراد على المخدرات. يطرح علم الاجتماع تساؤلات حول مفهوم الإدمان: هل هو مفهوم طبي أم اجتماعي؟ وما هي المعايير التي تحدد إدراك مادة ما كمخدر؟ هل تعتمد هذه المعايير على اعتبارات طبية أم اجتماعية أم كليهما؟ تكثر أهمية هذه الأسئلة، خاصة عند معرفة أن بعض المجتمعات تقبل استهلاك مواد مثل الكوكايين أو الماريجوانا، كما هو الحال في بعض الطوائف الدينية في الهند أو في جامايكا.

إن هذه الأمثلة" على بساطته، تبين لنا أن وراء كل -واجهة اجتماعية- سلوك بسيط أو معقد يقوم به الفرد أو الجماعة، هناك دائما اعتبارات سوسيولوجية في الخلفية (اجتماعية اقتصادية ثقافية سياسية فكرية...) عدم رؤيتنا لها لا يعني أنها غير موجودة أو مؤثرة، الخيال السوسيولوجي يتيح لنا إدراك أن الكثير من الأحداث والظواهر والسلوكات الاجتماعية إنما تعكس قضايا أوسع، أهم وأعقد بكثير.

يجمع الكثير من العلماء أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة المجتمع في ظواهره ونظمه وبيئته والعلاقات مع الأفراد دراسة علمية وصفية تحليلية، الغرض منها الوصول إلى الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها هذه الظواهر[1].

انقسم علماء الاجتماع إلى ثلاث اتجاهات:

فريق يعتقد ان موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية وتعرف بأصحاب مدرسة العلاقات يتزعمهم جورج زميل، وفريق آخر يدعو إلى ضرورة قيام علوم اجتماعية جزئية إلى جانب علم الاجتماع كتخصصات أخرى من أنصار هذا الاتجاه إميل دوركايم، أما الفريق الثالث فيتكون من مجموعة علماء كل

[1] أحمد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، مصر، 1983، ص 23

واحد منهم له رأي خاص فمنهم من يرى أن علم الاجتماع هو دراسة النظم الاجتماعية ومنهم من يرى بضرورة فهم الآليات والوسائل التي تطور المجتمع وتؤدي إلى الوحدة والتآلف بين الأفراد[1].

كخلاصة:

يمكن ان ننتهي أن علم الاجتماع مهتم بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، فموضوعه الأساسي هو دراسة سلوكنا ككائنات اجتماعية في مختلف مناحي الحياة، وبذلك فهو معني بتتبع القضايا الإنسانية وما يطرأ عليها من تغيرات خاصة ونحن نعيش في عالم متسارع التغير، ثورة في المعلومات والثقافة، الصراعات، مظاهر التفكك الاجتماعي..... ويمكن أن نلخص مجالات علم الاجتماع إلى أنه علم دراسة السلوك الإنساني، أنه علم دراسة التفاعل الاجتماعي، أنه علم دراسة النظم الاجتماعية، أنه علم دراسة البناء الاجتماعي، أنه علم دراسة الظواهر الاجتماعية.

[1] مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1975، ص 54-55